بسم الله الرحمن الرحيم

شبكة المعلومـــــات الجامعية

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

شبكة المعلومات الجامعية

جامعة عين شمس

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

﴿ قـــسـم ﴾

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها
علي هذه الأفلام قد اعدت دون آية تغيرات

يجب أن

تحفظ هذه الأفلام بعيداً عن الغبار

في درجة حرارة من 15 – 20 مئوية ورطوبة نسبية من 20-40 %

To be kept away from dust in dry cool place of
15 – 25c and relative humidity 20-40 %

بعض الوثائق الأصلية تالفة

بالرسالة صفحات

لم ترد بالأصـــل

جامعة القاهـــرة
كلية الآداب
قسم التاريـــخ

إدارة صعيـــد مصـــر الماليـــة

زمـن الحملـة الفرنسيـــة

(١٧٩٨ - ١٨٠١)

رسالة دكتوراه فى التاريخ الحديث

إعداد

ناصر أحمد إبراهيم سليمان

إشراف

أ.د. رءوف عبـاس حامـــد

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

B
٩٢٨c

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

الاجازة

أجازت لجنة المناقشة هذه الرسالة للحصول على درجة **الدكتـــــوراه** فى **التاريخ الحديث**

بتقدير / بمرتبه الشرف الأولى بتاريخ ١٩ / ٤ / ٢٠٠٣ و أوصت بطبعها على نفقة الجامعة وتبادلها مع الجامعات الأخرى بعد استيفاء جميع المتطلبات

اللجنة

الاسم	الدرجة العلمية	التوقيع
(١) أ.د. رءوف عباس حامد	أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر	
(٢) أ.د. عاصم أحمد الدسوقى	أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر	
(٣) أ.د. أحمد زكريا الشلّق	أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر	
(٤)	.....	.....

المختصرات الواردة فى الرسالة

Corres.	Correspondance de Napoléon 1er
Klé.	Kléber en Égypte.
Polonais.	Les Polonais en Égypte.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لعل حدثا من أحداث تاريخ مصر الحديث لم يحظ بمثل ما حظيت به فترة الاحتلال الفرنسى من اهتمام ؛ حيث تعددت وجهات النظر حول تقييمه . وعلى الرغم من قصر مدتها (ثلاث سنوات وبضعة أشهر) إلا أنها كانت حاسمة ومثيرة للجدل وخاصة عند ربطها بالإنجازات التى شهدتها مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

ويمكن تحديد ثلاثة اتجاهات مختلفة حول تفسير هذا الحدث : فهناك اتجاه يرى أن الجيش الفرنسى كان فى «مهمة حضارية» ينقل خلالها - عبر العنف - أيديولوجية «الحداثة» التى كانت جديرة بنفى ملامح «المجتمع التقليدى» الذى تميز بالركود والتخلف ؛ نتيجة الارتباط بالدولة العثمانية . وعلى هذا النحو ، فإن تجربة الاحتلال الفرنسى يجب التعامل معها على أنها فريدة فى نوعها ؛ لأن آثارها العديدة والدائمة طوت صفحة التاريخ العثمانى الذى يسحبون عليه مقولة (التدهور والانحطاط) ، وأيضًا - وهو الأهم - لأنها قدمت مرجعًا أساسيًا للتحويل المنظم (التدريجى) الذى قام به والى مصر محمد على . وفى هذا السياق يميل أصحاب هذا الاتجاه إلى ردّ تجربة التحديث إلى « المؤثر الخارجى » الذى مثلته فترة الاحتلال الفرنسى[١] .

وعلى النقيض من ذلك أرتأى اتجاه آخر أن مصر صنعت لنفسها - قبل مجئ الفرنسيين بعقود طويلة- طريقًا نحو التنمية الرأسمالية ؛ وأن الاحتلال الفرنسى هو الذى أعاق هذا التطور وأحدث إرباكًا للمجتمع المصرى بشكل عام[٢] ، وفى الاتجاه نفسه يذهب آخرون إلى اعتباره حدثًا عرضيًا ، ليس له بصمة واضحة ، ولا أثر دائم جدير بالاعتبار ، وأن المجتمع المصرى كان مآله للتغير بدون هذه الحملة العسكرية[٣] .

---

(١) هنرى لورنس : الحملة الفرنسية فى مصر ، بونابرت والإسلام ، ترجمة بشير السباعى ، دار سينا ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص ص ٨ ، ٦٢٥ - ٦٢٦ ؛ روبير سوليه : مصر ولع فرنسى ، ترجمة لطيف فرج ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ ، ص ص ٣١-٣٤ ، ٧٢-٧٣، ٣٨٧-٣٨٨ ؛ أندريه ريمون : المصريون والفرنسيون فى مصر ١٧٩٨ - ١٨٠١ ، ترجمة بشير السباعى ، عين للدراسات والنشر ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ص ٣٣٤ ؛ القاهرة تاريخ حاضرة ، ترجمة لطيف فرج ، دار الفكر ، ط ١ ١٩٩٤ ، ص ص ٢٥١ ، ٢٥٩.

(٢) بيتر جران : الجذور الإسلامية للرأسمالية ، مصر ١٧٦٠ - ١٨٤٠ ، ترجمة محروس سليمان ، مراجعة رءوف عباس، دار الفكر ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ص ١٠-٦٦.

(٣) كرستوفر هيرولد : بونابرت فى مصر ، ترجمة فؤاد أندراوس ، مراجعة محمد أنيس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ٤٠٣ ؛ ليلى عنان : الحملة الفرنسية : تنوير أم تزوير ، جزءان ، دار الهلال ١٩٩٨ ، ج٢ ، ص ص ١٨٣ -١٨٦، ٢٢٧.

أما الاتجاه الثالث والأخير فإنه يؤكد على أن مجيء الفرنسيين قد هز المجتمع المصرى هزًا عنيفًا ، وجعله يشعر بصدمة شديدة A Traumatic Shock (والصدمة هنا ذات بعد مادى - ثقافى) كانت بمثابة المنبه الذى أيقظ المجتمع المصرى على حقيقة موقعه من الآخر (الأوربى) ، وجعله يدرك أن صراع البقاء يقتضى تعويض الفجوة بالإصلاح والتزود بأسباب القوة . ومن هذه الزاوية كان الحدث مهمًا لأنه حفز المجتمع نحو تطوير نفسه ، وإن كان هذا لا يعنى أن الحملة هى صاحبة الفعل الحقيقى فى التغيير الذى يجب أن يظل مقرونًا بالجهود غير العادية التى بذلها محمد على ؛ باعتباره أكثر من أدرك دلالة ما يُمثله هذا الحدث بالنسبة لمصير الامبراطورية العثمانية ككل ، وأن تجربته فى التحديث قد جاءت فى سياق الاستجابة للتحدى الأوربى الجديد. وإذا كان قد استعان فى تحقيق ذلك بالخبرة الأجنبية (والفرنسية في مقدمتها) إلاَّ أن نسق الإصلاح عنده جاء مختلفًا عن النمط الغربى[1] .

ويبدو أن هذا الاختلاف الواسع بين المؤرخين قد جاء نتيجة للتركيز على دراسة «السلطة/ الدولة» أو بالأحرى الجانب السياسى والعسكرى الذى بدا طاغيا على العديد من الدراسات بشكل لم يجعل للتاريخ الاجتماعى والاقتصادى لهذه الفترة سوى جزء محدود فى تحليلاتهم . وقد بات من غير المقبول تمامًا اختزال هذا الجانب الأساسى ، من أجل تصوير مشروع الاحتلال الفرنسى على أنه مجرد مرحلة فى مسيرة فاتح عظيم ؛ الأمر الذى يجعل الحاجة ماسة إلى إخضاع الحقائق الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بهذه الفترة للفحص المجهرى الدقيق ؛ سعيًا إلى إعادة تقويم آثار هذا الاحتلال بقدر أكبر من الموضوعية ؛ وتقديم فهم أعمق لحقيقة التفاعل الذى تم بين الجانبين (الجيش والمجتمع المصرى) .

كان هذا - فى واقع الأمر - وراء اختيار الباحث لموضوع «إدارة مالية الصعيد» ؛ باعتبار أن دراسة المالية تتيح لنا إمكانية رصد منطقة واسعة من احتكاك الناس بالسلطة (المحتلة) :فالضريبة هى المحك الذى جعل الطرفين يقتربان للغاية ، وخاصة مع اعتماد الفرنسيين اعتمادًا أساسيًا على حصيلة الموارد الضريبية فى الانفاق على «مشروع الاحتلال» ككل . ومن ثم فإن الانفاق أو الاختلاف بشأن دفع الضرائب المستحقة ، وما يترتب عليه من إجراءات ، سواء على مستوى المواجهة أو الترويض المستمر - إنما يسمح بتحليل العلاقة التى ربطت الممولين للضرائب (وهم الذين يمثلون غالبية المصريين) بالمسئولين الفرنسيين .

وثمة أهمية أخرى تتيحها دراسة المالية وهى المتعلقة بدراسة دور (الطوائف المهنية) التقليدية (المباشرون

---

(1) Raouf Abbas : Bonaparte's Expedition as a Shock for Egypt, Mohamed Ali and The Rebirth of Egypt. (Forthcoming).

وإلى حد ما يتفق تقييم « جى فارجيت» مع هذا الاتجاه ، وإن كان ينظر إلى « الصدمة» على أنها «صدمة نفسية» Le choc Psychologique ساعدت المصريين على إعادة اكتشاف «الآخر الأوربى» بوصفه عالمًا جديدًا انظر :

Guy Fargette : Méhémet Ali, Le Fondateur de L'Égypte moderne, Paris 1996, pp. 20-21.

الأقباط - الأفندية - مشايخ القرى) التى كلفت باستمرار دورها فى تحصيل الضرائب ؛ وهو ما يسمح بتحليل موقف هذه الجماعات الإدارية من الاحتلال ، وطبيعة العلاقة التى ربطتهم به ، ودرجة الوعى بحماية مصالحهم ، والكيفية التى وسعوا بها مجال العمل ، وأخيراً مآل دورهم أو مستقبلهم الوظيفى بعد جلاء الاحتلال وبداية عصر الدولة المركزية ، ومحصلة التجربة بالنسبة لوضعهم الاجتماعى الاقتصادى .

وتعد دراسة المالية محورية - كذلك - بالنسبة لتحليل الأسباب الحقيقية وراء فشل مشروع الاحتلال نفسه والتى يصعب فهمها خارج إطار الظروف المادية الصعبة التى ألمت بالجيش على مدار احتلاله للبلاد ، ويتصل بذلك دراسة اصطدام الفرنسيين بالطبيعة المعقدة للنظام المالى (التقليدى) ، وبالكوادر المحلية القائمة على إدارته ، وهو صدام له مغزاه عند تحليل أبعاد تلك الأزمة المالية .

وكان تحديد الإطار الجغرافى للدراسة بأقاليم الصعيد ، على وجه التحديد ؛ لعدد من الأسباب التى جاء فى مقدمها أن الصعيد لم يحظ - على مستوى تاريخ مصر العام - بالقدر الكافى من اهتمام المؤرخين بدراسته ، وربما كانت قلة المادة المصدرية لها علاقة بذلك . غير أن الأمر يبدو مختلفًا تمامًا فى حالة الأرشيف الوثائقى الخاص بالصعيد ، فى فترة الاحتلال الفرنسى ؛ إذ يحتفظ الأرشيفان المصرى والفرنسى بمادة غنية للغاية ، تسمح برصد وقائع الحياة اليومية للأهالى مع الإدارة الفرنسية .

وخلافًا لهذا كان للصعيد أهمية استراتيجية وأمنية ؛ وبدون تحقق السيطرة عليه كان يصعب استقرار السلطة المركزية بالقاهرة ؛ فقد كان الصعيد غنيًا من جراء ما ينتجه من الحبوب والتى كان سكان العاصمة والسلطة وجيشها يعتمدون على الوارد منه . وفى هذا السياق كان تركز المقاومة المملوكية الثقيلة فى أقاليم الوجه القبلى سببًا فى زعزعة استقرار السلطة فى يد الفرنسيين ، وكان لهذا تأثيره السلبى فى إضعاف ثقة الأهالى وإثارة الشكوك فى مدى وجود تحول حقيقى للسلطة من المماليك إلى الجيش الفرنسى . وعلى ذلك لم يكن الصعيد كتلة جغرافية وبشرية معزولة أو مهمشة ، بل على النقيض من ذلك تمامًا ، كان شريكًا أساسيًا فى مجريات الأحداث الرئيسه . وإن نظرة واحدة على الفترة السابقة (نموذج صراع على بك الكبير مع الشيخ همام) أو اللاحقة لجلاء الفرنسيين (نموذج محمد على مع القوة المملوكية المتمركزة بالوجه القبلى) تكفى لتأكيد هذه الحقيقة .

ومن المؤكد ، بالقدر نفسه ، أن الأهالى ، بسبب حلقات الصراع المتتالية والطويلة ، كانوا أكثر حرصًا على متابعة كل ما يطرأ على السلطة المركزية من تغيرات . ومن ثم فإن دراسة الصعيد فى هذه الفترة تسمح بالتعرف على تصور الأهالى لهذا الحدث ، وما كان يعنيه بالنسبة لهم ، وخاصة أن الفرنسيين أعلنوا فى جميع القرى والنواحى عن مصادرة قرى الالتزام المملوكى التى كانت موزعة على معظم أقاليم الصعيد ؛ وهو ما يعنى أنهم صاروا فى علاقة مباشرة مع هذه السلطة الجديدة ، الأمر الذى من شأنه أن يزيد من هامش الاحتكاك اليومى ؛ ويسمح باختبار تأثير سياسة الاحتلال على المجتمع الريفى بصفة عامة .

والإشكالية الأساسية التى تناقشها هذه الأطروحة تقوم على معالجة مسألتين ، الأولى : تتبع مراحل اصطدام الفرنسيين بالنظام المالى (التقليدى) ، وتحليل الظروف المختلفة التى اضطرتهم إلى المضى فى إدارة مالية البلاد من خلاله . وتتجلى أهمية هذا الجانب فى أنه يكشف عن واقع (الخصوصية) التى ميزت النظام الإدارى والمالى ؛ باعتباره نظامًا اقتصاديًا / اجتماعيًا ، أفرزه المجتمع فى ظل مرحلة طويلة ومعقدة ، أيضًا يتيح تناول هذه المسألة اختبار جدوى «المؤثر الخارجى» (الاحتلال الفرنسى) - قصير الأمد - فيما يمكن أن يكون قد ساهم به (سلبًا أو إيجابًا) فى إحداث تغيير ما على هيكل البنية الأساسية للنظام الاقتصادى والاجتماعى .

والجانب الثانى من الإشكالية يقوم على دراسة مدى وعى الجماعات الإدارية (المباشرون الأقباط - أفندية الروزنامة - مشايخ القرى) بطبيعة التحدى الذى حاق بها ، والكيفية التى بات من المتعين عليها أن تواجه بها كل مخاطره وآثاره السلبية ، سواء على مصالحها الخاصة أو على مستقبلها المهنى برمته . وإذا كانت هذه الجماعات قد وجدت نفسها مدفوعه إلى التعاون مع السلطة الجديدة (المحتلة) ، وإذا كانت كذلك قد واصلت دورها - بقوة - فى أعقاب جلاء الاحتلال ، بما فى ذلك احتفاظها بمواقعها الوظيفية فى ظل الدولة المركزية فى القرن الـ ١٩م -فإن هذا يثير التساءول حول الإمكانات الذاتية التى هيأت لهذه الجماعات القدرة على تنسيق مصالحها الخاصة ، فى آن واحد ، مع كل القوى المتصارعة على السلطة ، وإلى أى حد كان رهانها على ما تمتلكه من معرفة حسابية ، وخبرة عميقة بإدارة النظام ، قد جعل لها دورًا فاعلاً فى تحديد أهميتها لكل سلطة ، ولاسيما فى ظل فترة حبلى بالمتغيرات .

وقد تم تقسيم الدراسة إلى خمسة فصول وخاتمة وجاء الفصل الأول الذى حمل عنوان « الفرنسيون ونظام الالتزام» مدخلاً مهمًا ؛ لتوضيح الإطار العام الذى انتظمت من خلاله مالية سلطة الاحتلال . والقضية الأساسية التى يعالجها هذا الفصل تتمثل فى تحليل الظروف الموضوعية التى اضطرت الفرنسيين إلى اعتماد العمل بنظام الالتزام وكوادره القديمة .

وإذا كانت مصادرة قرى الالتزام المملوكى قد أدت إلى ضمِّ معظم قرى مصر إلى ما أصبح يعرف فى الوثائق المالية بـ « قرى الجمهور» - فقد تعين أن نولى اهتمامًا بدراسة الآلية التى أُديرت بها هذه القرى ؛ باعتبارها تشكل المصدر الرئيسى لإيرادات مالية الجيش . وهذا ما يعالجه الفصل الثانى والذى يوضح أن الفرنسيين لم يكن لديهم تصور ناجز لإدارتها ، وأن هذا هو ما دفعهم إلى إعادة طرحها للالتزام أو الإيجار السنوى إلا أن العرض سرعان ما مُنىَّ بالفشل . وقد ناقش الفصل الأسباب التى أدت إلى تعذر إدارتها ، وعلاقة هذه المسألة بتعثر الجباية وبروز الأزمة المالية .

وينقلنا الفصل الثالث إلى مناقشة إدارة الجباية بالقرى التى أُفرِج عن التزاماتها ، فيما جرى توصيفه ، بـ «قرى الرعايا» ويتضح من هذا الفصل أن الفرنسيين واجهوا صعوبة مماثلة فى حثِّ الملتزمين على التجاوب